وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويزيل قسوته
ويرق ويتخلى للذكر والفكر والعبادات ومنها أن الغني يعرف
قدر نعمة الله عليه بإقداره على ما منعه كثيرا من الفقراء من
فضول الطعام والشراب والنكاح فإنه إذا امتنع من ذلك في وقت
مخصوص حتى وجد ألم الجوع والعطش وذاق حرهما وفاتا
عناهما تأمل نعمة الشبع والري اللذين أقدره الله عليهما وحرم
غيره منهما وعرف مقدارهما فشكر الله عليهما بإطعام الجوعان
وسقي العطشان وإكساء العريان ومنها أن الصيام يضيق مجاري
الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم فإن الشيطان يجري من
ابن آدم مجرى الدم كما سبق عن حديث الصحيحين فبالصوم تنكسر
سورة النفس القوة الشهوية والغضبية وتسكن وساوس
الشيطان ومن ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصيام وجاء قاطعا
عن شهوة النكاح المستلزم لقطعه عن بقية الشهوات بالأولى
واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات إلا
بعد التقرب إليه بترك ما حرم من الكذب والغيبة وسائر
الظلم والتعدي على الغير في نفسه أو ماله أو عرضه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله
حاجة في أن يدع طعامه وشرابه رواه البخاري وفي المعنى
فيه نفي الحاجة عند فعل المعصية المنهي لثبوتها عند انتفاء
المعصية غاية الرفق بالعباد واللطف بهم حيث خوطبوا بما يألفونه
في محاوراتهم وإلا فالله غني عن عباده لا حاجة له بأعمالهم مطلقا
لا يتم التقرب إليه على أنه يمكن أن يوجه ذلك بتوجيه آخر مأخوذ من
ما جاء في الحديث أن الله تعالى يقول لبعض عباده مرضت

فلم

فلم تعدني جعت فلم تطعمني فيقول كيف تجوع وتمرض وأنت
رب الأرباب فيقول مرض عبدي فلم تعده وجاع عبدي فلم
تطعمه فأسند تبارك وتعالى أفعال بعض عبيده إليه تشريفا
لهم فيصح أن تكون إضافته هنا حاجته إليه باعتبار ما فهم
من الحديث أنه إذا ترك ذلك كان لله حاجة في صيامه إنما هو
لتشريفهم بتلك الإضافة نظير ما ذكر في مرضت وجعت
فتأمل ذلك وفي حديث آخر على شرط مسلم كما قاله أبو موسى
المديني ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو
والرفث وقال بعض السلف أهون الصيام ترك الشراب
والطعام وقال جابر إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك
عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة
يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء وقال
صلى الله عليه وسلم رب صائم حظه من صومه الجوع والعطش
ورب قائم حظه من قيامه السهر وسر هذا أن التقرب إلى
الله تعالى بترك المباح إنما يتم بعد التقرب بترك المحرم وإلا
كان كمن يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وفي مسند أحمد أن
امرأتين صامتا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكادتا أن تموتا
من العطش فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأعرض ثم ذكرتا له فدعاهما
فأمرهما أن يتقيأ فقاءتا ملء قدح قيحا ودما وصديدا ولحما عبيطا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما
وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا
تأكلان لحوم الناس ولتأكد طلب اجتناب الصائم للغيبة وسائر
حقوق الأعراض والأموال وغيرها عقب تعالى قصة فرضه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)